كتابان نفيسان

تحرير المرأة وسر تقدم الانكليز

السيف اصدق انباء من الكتب اذا جأ الناس الى القوة الوحشية وكانت الكتب خرافات وترهات واما اذا تقاضوا الى العقل وكانت الكتب من بناتهِ وبيّناتهِ فهي المنبيء الصادق والمرشد الامين والفيصل الحكيم . هي غذاء النفوس كما قال المصريون الاقدمون لما كانت مصر منار الهدى ومعتقد العرفان او كما قال حلفاء العرب لما كان العلم غالتهم والنّاخ والمترجمون من الروم والسريان جلساءهم واحباءهم

ولقد رأينا في اوائل هذا الشهر شيئاً من الحياة الادبيّة سرى كالنسيم في هذه العاصمة — رأينا كثيرين من الادباء الفضلاء يذكرون كتابين نُشرا حديثاً احدهما عربي المصدر والمظهر والثاني مترجم عن اللغة الفرنسوية . الاول كتاب تحرير المرأة الذي وضعهُ الاصولي الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة الاستئناف الاهلية واشرنا اليهِ في الجزء الماضي من المقتطف. وقد تصفحناهُ الآن بما يستحق من التروي فوجدنا فيهِ من العلم والحكمة والغيرة الحقيقية على خير الامة ما يعز وجودهُ في كتاب آخر . والمؤلف ليس من اهل الخيال الذين يصوّرون عدوهم كما يشاؤون ويحاربونهُ على ما يتخيّلون ويحسبون انهم قاموا بما يطلب منهم اذا شحنوا صفحتين بالاوامر والنواهي والامثال والحكم بل هو من الذين ادركوا حقيقة الموضوع الذي كتب فيهِ وعلموا ان ما يطلبهُ لا يُنال الاّ بعد العناء الكثير فقال "اني لست ممن يطمع في تحقيق آمالهِ في وقت قريب لان تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شؤونها مما لا يسهل تحقّقهُ وانما يظهر اثر العاملين فيهِ ببطء شديد في اثناء حركتهِ الخفية . وكل تغيير يحدث في امّة من الامم وتبدو ثمرتهُ في احوالها فهو ليس بالامر البسيط وانما هو مركّب من ضروب من التغيير كثيرة تحصل بالتدريج في نفس كل واحد شيئاً فشيئاً ثم تسري من الافراد الى مجموع الامة فيظهر التغيير في حال ذلك المجموع نشأة أُخرى للامة . وما نحن فيهِ الآن ليس في الطاقة البشرية تغييرهُ في الحال وليس من العار علينا اننا وُجدنا في مثل هذه الحال لان كل عصر لا يُسأل الاّ عن عملهِ. وانما العار ان نظن في انفسنا الكمال وننكر نقائصنا وندّعي ان عوائدنا هي احسن العوائد في كل زمان ومكان . وان تعاند الحق وهو واحد لا يحتاج في تقريرهِ الى تصديق منّا بهِ وكل ما نقولهُ او نفعلهُ لانكارهِ لا يؤثر فيهِ بشيء وانما يؤثر فينا

اثر الباطل في اهله ويقوم حجاباً بيننا وبين اصلاح نفسنا اذ لا يمكن لامة ان تقوم باصلاح ما الا اذا شعرت شعوراً حقيقياً بالحاجة اليه ثم بالوسائل الموصلة له "

ومهّد لكتابه تمهيداً حسناً بيّن فيه ان حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية تابعة لحالة الآداب في الامة وانكر ان للدين يداً في ارتقاء النساء او انحطاطهن وهذا مما لا نوافقه عليه كما اننا لا نوافقه على ان الاخلاق السيئة ورثيا العرب " عن الامم التي انتشر فيها الاسلام ". وقد يسهل على المرء ان تسبح يده فيمحيا بثياب جاره ولكن اثبات التهم الكبيرة ليس على هذا النحو من السهولة ومنزلة الكاتب اسمى من ذلك وحجته امتن من ان تعتمد على هذه المزاعم. وحسبنا السبب الفلسفي الذي بسطه بعد ذلك وهو " تجرّد الجمعيات الاسلامية من النظامات السياسية التي تحدّد حقوق الحاكم والمحكوم فاتخذت حكومتها الشكل الاستبدادي دائماً وأساء حكامها في التصرّف ومالوا في اتباع اهوائهم ولا يستثنى منهم الا عدد قليل لا يكاد يذكر بالنسبة الى غالبيهم . وكان من اثر هذه الحكومات الاستبدادية ان الرجل في قوته اخذ يحتقر المرأة في ضعفها واول اثر يظهر في الامة المحكومة بالاستبداد هو فساد الاخلاق "

هذا وقد كنا قبل كتابة هذه السطور نترجم مقالة القاضي امير علي عن " النساء في الاسلام " المدرجة في هذا الجزء من المقتطف واضطررنا ان نفتش عن ترجمات بعض النساء المذكورات فيها في الكتب العربية التي بين ايدينا . ويقيننا انهُ لو قرأ كاتب تلك المقالة ما قرأناهُ في نفح الطيب عن نساء الاندلس لزاد ما كتبهُ وقال عنهنّ اكثر عن درّة في بحر من الاوساخ والاقذار . فان فساد الاخلاق الذي اشار اليه صاحب تحرير المرأة كان مستولياً على النفوس حتى لم تحسب المجاهرة به عاراً . فالى مثل ذلك ينسب انحطاط شأن المرأة كما ينسب الى غيره من الاسباب التي عدّدها المؤلف في الصفحة الرابعة عشرة من كتابه ولا سيما لأن القدوة افعل بالنفس من الاوامر والنواهي واكثر الذين يقتدى بهم لا يظهر من سيرهم المدوّنة في الكتب العربية الا انهم كانوا يحسبون المرأة وردة تشم او شوكة تتقى

وتقدّم المؤلف بعد هذا التمهيد الى بسط موضوع الكتاب فبيّن اولاً ان المرأة مثل الرجل في الحقيقة الانسانية وان عليها واجبات مثلهُ للهيئة الاجتماعية وللعائلة وهي تقضي بان تتعلم القراءة والكتابة واصول الحقائق العلمية ومواقع البلدان وتواريخ الامم. قال " ان الرجل المتعلم يحب النظام والتنسيق في منزله ولهُ ذوق مهذب يميل الى الاشكال اللطيفة والاحساسات الدقيقة والالتفاتات الرقيقة ويبلغ الاهتمام بها عند بعض الافراد حدّاً ينتهي الى اهمال الامور المادية . يفهم بكلمة ويود لو يفهم بالاشارة . يسكت سنين اوقات ويتكلم في اخرى ويضحك في

غيرها . لهُ افكار يحبها ومذهب يشغلهُ وجمعية يخدمها ووطن يعزهُ . لهُ لذائذ وآلام معنوية فيبكي مع الفقير ويحزن مع المظلوم ويفرح بالخير للناس . وفي كل فكرة تتولد في ذهنهِ او احساس يؤثر على اعصابهِ يود ان يجد بجانبهِ انساناً آخر فيشرح لهُ ما يشعر بهِ ويتمازج معهُ. وهذا ميل طبيعي يجدهُ كل شخص من نفسهِ . فاذا كانت امرأتهُ جاهلة كتم افراحهُ واحزانهُ عنها ولم يلبث ان يرى نفسهُ في عالم وحدهُ وامرأتهُ في عالم آخر . اذ هي تعتبر ان الرجل ما خلق سوى هذه الدنيا الاَّ ليشتري لها الاقمشة الغالية والجواهر النفيسة وليصرف اوقاتهُ في ملاعبتها كأنهُ صورة اكبر من الصور التي كان يشتريها لها والدها في صغرها لتلهو بها

ومتى رأى الرجل امرأتهُ بهذه المنزلة من الجهل بادر الى نفسهِ احتقارها واعتبرها من الاعدام التي لا اثر لها في شؤونهِ . وهي متى رأتهُ اهمل واغفى ضاق صدرها وظنت انهُ يظلمها وبكت سوء حظها الذي ساقها الى رجل لا يقدرها قدرها ونبتت البغضاء في قلبها . ومن ثم تبتدىء عيشة لا اظن ان الجحيم اشد نكالاً منها . عيشة يرى كل منهما فيها ان صاحبهُ هو العدو الذي يحول بينهُ وبين السعادة

والزوجة المصرية مهما كانت لا تعرف من زوجها سوى انهُ طويل او قصير ابيض او اسود . اما قيمة زوجها العقلية والادبية وسيرتهُ وطهارة ذمتهِ ودقة احساسهِ ومعارفهُ واعمالهُ ومقاصدهُ في الوجود وكل ما تصاغ منهُ شخصية الرجل منا ويصير بهِ الى ان يكون محترماً محبوباً ممدوحاً في امتهِ — فهذا لا يصل الى عقلها شيء منهُ . وان وصل فلا يؤثر على منزلتهِ في نفسها . وعلى هذا يكون اول من يجهل الرجل زوجتهُ . فكيف يُظن انها تحبهُ "

وبعد ان اسهب في هذا الموضوع وامَّ بكل اطرافهِ وايدهُ بكثير من الادلة العقلية والنقلية وبيَّن مقام المرأة في تدبير بيتها وتربية اولادها استطرد الى وجوب تعليمها الحقائق العلية لا الى الاكتفاء بالقراءة والكتابة

واتبع هذا الفصل بفصل في حجاب النساء قال فيهِ ان الحجاب كان عادة متبعة عند كل الامم تقريباً ثم تلاشت طوعاً لمقتضيات الاجتماع وجرياً على سنَّة التقدُّم والترقي وقد عرضت هذه العادة على المسلمين من مخالطة بعض الامم فاستحسنوها واخذوا بها وبالغوا فيها واليسوها لباس الدين كسائر العادات الضارَّة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين براء منها " . ثم بيَّن ما يجب حجبهُ شرعاً وما لا يجب بنصوص القرآن وروايات الحديث واقوال ائمة الفقه. وقد اتفق هو والقاضي اميرعلي صاحب مقالة " النساء في الاسلام " على وجوب رفع الحجاب واظهار الوجه واليدين ليسهل على النساء طلب العلم ومعاشرة الرجال ومشاركتهم في الاعمال . وذكر

امثلة كثيرة على مضار الحجاب كما يعرض للقضاة كل يوم عدا مضاره الادبية في النساء انفسهن وقال في ختام هذا الفصل انهُ لا يقصد ان يرفع الحجاب الآن دفعة واحدة فان هذا الانقلاب تنشأ عنهُ مفاسد جمة لا يتأتى معها الوصول الى الغرض المطلوب كما هو الشأن في كل انقلاب فجائي وانما الذي يميل اليهِ هو اعداد نفوس البنات في زمن الصبا الى هذا التغيير. والظاهر ان القاضي الهندي والقاضي المصري كتبا بمعنى واحد في شهر واحد (راجع مقالة النساء في الاسلام في هذا الجزء) وهذا من نوادر توارد الخواطر

وقد يجادل المرء في مسألة الحجاب لاختلاف اقوال الائمة فيها ولان المسائل النظرية يسهل الجدل فيها ولكن اذا تصفح الفصل الثالث من هذا الكتاب وموضوعهُ "المرأة والامة" وقف موقف الدهشة والاتعاظ. هذا هو الموقف الذي يحيفنا كلما نظرنا اليهِ ورأينا الامم الضعيفة تنزل من امام الامم القوية او تستعبَد لها سنَّة الطبيعة التي لا تتغير. قال المؤلف "ان الاوربيين اذا دخلوا بلادًا وصادفوا فيها امةً متوحشة اهلكوها او اجلوها عن بلادها كما حصل في اميركا واستراليا. واذا صادفوا امة كامتنا دخل فيها نوع من المدنية من قبلُ ولها ماض ودين وشرائع واخلاق وعوائد وشيء من النظامات الابتدائية خالطوا اهلها وتعاملوا معهم وعاشروهم بالمعروف. لكن لا يمضي زمن طويل حتى ترى هؤلاء القادمين قد وضعوا يدهم على اهم اسباب الثروة لانهم اكثر مالاً وعقلاً وعرفانًا وقوةً فيتقدمون كل يوم وكلما تقدموا في البلاد تأخر ساكنوها فمن ضعف منهم عن مقاومة منازعهِ اضمحلَّ ونبذهُ الوجود الى خفاء العدم ومن قوي عند التغالب اظفرهُ الله بالنصر المبين. فلا سبيل لنجاة من الاضمحلال والفناء الاَّ طريق واحدة لا مندوحة عنها. وهي ان تستعدَّ الامة لهذا القتال وتأخذ لهُ اهبتها بان تتعلم كما يتعلم منازعوها وتسلك في التربية مسالكهم وتأخذ في الاعمال ما أخذهم ولتدرَّع للكفاح بمثل ما تدرَّعوا. ونحن الآن متمتعون بعدل وحرية لا اظن ان مصر رأت ما يماثلهما في اي زمن من ازمانها وهما الامران اللذان تحتاج اليهما الامة اشدَّ الاحتياج ولا يتيسر بدونهما نجاح في عمل من الاعمال العظيمة التي يقوم بها اصلاحها". وبعد ان افاض في تاريخ العلوم عند العرب والتي تبعة الجهل الذي ساد الممالك الاسلامية على التتار ووصف حالة الجهل التي بلغنا اليها وذكر ان الجمهور عرف الآن ان علاجها يقوم بتربية الرجال وتعليمهم اوجب تربية المرأة وتعليمها لتقوى الامة المصرية على البقاء ومناظرة الامم الاوربية وامهب في هذا الموضوع وفي حقيقة العائلة ثم استطرد الى الكلام على الطلاق وتعدُّد الزوجات وما فيهما من المضار. وكنا نظن ونسمع ان الطلاق نادر في هذا القطر حتى رأينا حضرة القاضي يثبت بالاحصاء ان كل اربع زوجات في مدينة القاهرة يطلق منهنَّ ثلاث

ثم ختم الكتاب باستنهاض همم اهل النظر في الشريعة الاسلامية والعارفين باحكامها لمراعاة حاجات الامة الاسلامية وضروريانها في ما يختصُّ بالنساء وان لا يقفوا في تطبيق الاحكام عند قول امام واحد وان يدققوا البحث في ما تغير من الاحوال والشؤون فان وجدوا في قول امام ما تتيسَّر معهُ المحافظة على كرامة الشرع اقاموا مقامهُ قول امام آخر يكون في مذهبهِ ما يسدُّ الحاجة بدون خروج عن اصول الشريعة العامة

وحبذا لو تصفح هذا الكتاب النفيس كل من يغار على وطنهِ وامتهِ وساعد مؤلفهُ في بث آرائهِ بين الجمهور

الكتاب الثاني

والكتاب الثاني ترجم عن اللغة الفرنسوية وقد وضعهُ مؤلفهُ ليري ابناء وطنهِ الفرنسويين سر تقدُّم الانكليز حتى يتخذوا بهم . وقد رأى المترجم المصري في بلادهِ من العيوب ما رأى المؤلف الفرنسوي في بلادهِ منها فترجمهُ الى العربية لكي يستفيد ابناؤها منهُ كما استفاد الفرنسويون

والمترجم هو الاصولي الفاضل الغيور على خير امتهِ ووطنهِ احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية . وقد قدَّم للكتاب مقدِّمة مسهبة ابان فيها حقيقتهُ وغرض مؤلفهِ منهُ والوقع الذي كان لهُ في البلاد الفرنسوية والحظوة التي نالها من علمائها والسبب الذي حملهُ على ترجمتهِ والغرض الذي يرمي اليهِ . ولا يمكن ان يفصَّل ذلك بابلغ مما فصَّلهُ المترجم نفسهُ قال

" يحتاج سر تقدُّم الانكليز السكسونيين في مطالعتهِ الى دقة نظر وروية حتى لا يفوت الغرض المقصود لنا من ترجمتهِ وهو تنبيه الفكر الى اسباب ما نحن فيهِ من التأخر والانحطاط

ومن المقرر ان ميلنا الى مطالعة المؤلفات التي من هذا القبيل ضعيف حتى في هذه الايام وان المشتغلين بنشرها اشق العاملين فان الواحد منهم قد يتهب اوقات العمل فيها من سويعات نومهِ ولحظات راحتهِ ويتحمل من المتاعب ما لا تقدَّر قيمتهُ ثم لا يستعيض عن تعبهِ بلذة ان الناس يقرأون ما اهدى اليهم فيرتاح لكونهِ كان لقومهِ من النافعين

لكن الذي لا يأخذ الامور بظواهرها بل يطلب الحقيقة أنَّى وجدت يعلم ان انزواء رغبة الناس عن مطالعة المؤلفات المفيدة ومللهم من العلم بما يجري في الوجود من تقدُّم الامم بترقي المعارف واتساع نطاق التربية والتعليم لم يكن ناشئًا عن بغضهم للعلم او تنورهم من العالمين بنشرهِ ولنما هو مسبب عن طول زمن الترك الناشيء عن الضعف العام الذي المَّ بروح الشرقي

منذ اجيال طويلة حتى امات ملكة حب الاستطلاع وجعل النظر في احوال الامة خصوصاً واحوال الامم عموماً قاصراً على ما يحس احساساً مادياً فلا يتحرك الفكر الاَّ من جانب الشعور الجسماني على ان تحركهُ انما يكون لمجرَّد التوجع والتحسر او لمجرَّد الابتهاج والفرح الوقتي ثم لا يلبث ان يرجع الى السبات العميق فيذهل عن امتهِ وعن نفسهِ ويصبح كما امسى بل اقل عزماً واكثر همًّا

ذلك ما اصاب الامم الشرقية واستحكم في عقولنا حتى عم الفتور وصار كأنهُ حالة فطرية لخسبناهُ خلقاً من اخلاقنا وعددنا من يخرج عن حالتنا هذه بعيداً عن المنهج القويم ومارقاً عن تقاليد الامة وعاداتها وميتاً لها في ما ترى التمسك بهِ من موجبات كمالها . خصوصاً اذا جاءنا بما يكشف القناع عن المصائب المتولدة من ذلك الخمول وبين وجه الضرر في ما نحن فيهِ من الانزواء ونددَّ بما اعتقد — كما هو الصحيح — انهُ اصل الشقاء وعلة العناء من اخلاق تخالف الغرض من الحياة وطباع تبعد باصحابها عن محجة النجاة ومعتقدات يقوم فيها الوهم والخيال مقام حقيقة الحال . تلك عادة المرء ان كلت همتهُ ووهن عن القيام بما وجب كان اقرب الى الغضب دفعاً لمؤثر يؤلمهُ وانتقاماً من نصوح يدب على موضع الألم فتأثر النفس مع فقد القدرة على نفي اسباب التأثر ويسير المخاطَب كمن شُد وثاقهُ وانهالت عليهِ السياط فلا هو قادر على تحمل آلامها ولا هو يجد من وثاقهِ فكاكاً فيكتفي بالصياح والاكثار من النواح وتثقل نفسهُ بالحقد على ذلك المسيء اليهِ في نظرهِ فيبيت نفوراً لا يسمع لهُ قولاً ولا يعي عنهُ فعلاً . هذا هو السبب في الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء الخالي من المؤلفات والسابق الى حفظ كتب المجون والروايات والنفور من القول الجد وهجران النافع واغفال المفيد . . . .

لكن على قدر فقدان الشعور العام في الامة يجب العمل على تنبيههِ وبمقدار اعراضها عن النافع ينبغي السعي في حملها على الرغبة فيهِ

ومن الحقائق ان الامة لا تنهض من رقدتها ولا تهبُّ من سباتها الاَّ اذا خلصت من قيودها وفارقتها الامراض التي تنهك قواها وتحط من عزيمتها

ولا يتيسر للامة ان تتخلص من آلامها وتبرأ من امراضها الاَّ اذا عرفت اسبابها واحاطت بموجبات الضعف فيها

فاول واجب على من يطلب مصلحة امتهِ ان يبين لها مواضع الضعف المُلم بها حتى اذا تم تشخيص الداء سهلت معرفة الدواء

وليس من ينكر اننا متأخرون عن امم الغرب واننا امامها ضعاف لا نستطيع مغالبتها ولا يسعنا ان نفوز ببغيتك ما دمنا ودمت على هذا الحال

نحن ضعاف في كل شيء لقوم بهِ حياة الامم متأخرون في كل شيء عليهِ مدار السعادة "

ثم عدَّد مواقع الضعف في الزراعة والصناعة والعلم والعزيمة والالفة والثروة والثمور المالي والجامعة القومية وطلب الحقوق واداء الواجب والاعتبار بحوادث الزمن وحفظ ما ترك الآباء الى ان قال

" ضعفنا حتى اصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا وخصوبة ارضنا وترويج تجارتنا وتحسين صناعتنا . هي التي نطلب منها ان تربي الابناء وتطعم الفقراء وترزق العجزة وتنفي اسباب البطالة وتحفظ الاخلاق وتلم شعث العائلات وتجمع شتات القلوب . هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا وتقويم ما اعوجَّ من سيرنا وسيرتنا ورد هجمات المزاحمين عنا والسهر على مصالح كل واحد منا . فاذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باهمالنا رميناها بسوء الادارة واتهمناها بحب الاثرة والقينا عليها تبعة خمولنا كلها "

وبعد ان اوضح ما هو الغرض الحقيقي من الحكومة ولام طالبي مناصبها قال " ان مصائبنا جهلٌ بما احتجنا اليهِ واهمالٌ لما يعول في حياة الامم عليهِ وتمسكٌ باهداب احلام قد اشرقت عليها شمس الحقيقة فبددت غياهبها الاَّ من عقولنا وبرهنت على بطلانها الاَّ في خيالنا فكان من وراء اصرارنا على التعلق بهذا الخيال ان تربَّع الاجنبي بيننا وبوعنا واتفرد بمصالح دارنا وصرنا نتردَّد عليهِ لنخدمهُ وهو يتردد في قبولنا لكثرة ما اهملنا انفسنا وقلة ما اهتممنا بصوالحنا وطول غيبة الصواب عنا

بذلك ازددنا ضعفاً على ضعف فاصبحت شؤوننا في ايدٍ غير ايدينا وذهبت اموالنا الى غير اهلينا ممن لا يشفق علينا ولا لوم عليهِ لانهُ استفادها بجدهِ من خمولنا واكتسبها بكدهِ بما اضعنا واستخدمنا في منافعهِ جزاء ما اهملنا منافعنا . ولانهُ رجل ثقفتهُ العلوم وهذبتهُ التربية الصحيحة فاتت فيهِ الادراك واستنارت بصيرتهُ وقويت ارادتهُ واشتدت عزيمتهُ وعلم ان الحياة لا تقوم الاَّ بالمثابرة على العمل والسعي المستمر في طلب الكمال ومن سنن الله في خلقهِ ان يسود العلم على الجهل وان تعلو القوة على الضعف وان يبدد النور الظلمات . وعلم ذلك الرجل نور انبعثت اشعتهُ وراء عزيمتهِ تضيء جوانب الجهل فمالت من الغرب الى الشرق وانكشف الستار عن رجلين احدهما عالم مقدام ومدرك همام عزيز الجانب بهمتهِ رفيع الشأن بفطنتهِ والثاني جاهل قد استولى الجبن عليهِ فاستكان لحكم الزمان وانَّ تحت اثقال الخمول

هذا هو الداء الذي نتألم منهُ وتلك هي الامراض التي تنهك جسم امتنا وبديهي ان معرفة الدواء صارت سهلة على القراء "

ثم انتقل الى الغرض الذي حملهُ على ترجمة الكتاب فقال " غرضي من ترجمة هذا الكتاب تنبيه الافكار الى حالتنا التي نحن فيها ومقارنتها بحالة الامة الفرنساوية لنوقن بعد علمنا بما هي عليهِ من التقدم والعمران وبما بلغتهُ من الدرجات الرفيعة في العلم والحضارة والعرفان انها اذا احتاجت وهي على تلك الاحوال الى اصلاح شؤونها لتضارع غيرها من الامم فنحن احوج منها الى التعليم واشد افتقارًا الى التربية واعوز الناس الى الاشتغال بما ينفعنا في هذه الحياة . كما اقصد لفت الاذهان الى ان الزمان يمر بالاقوال والامة لا تحيى الاَّ بصالح الاعمال وانا اولى الامم بالجد في تحصيل سعادتنا فبقدر التأخر ينبغي شد العزائم وتقوية الهمم وادامة السهر في العمل حتى نفوز بحظنا من هذه الدنيا

اريد ان تميل الافكار الى اطالة النظر في احوال الامة الانكليزية التي تحتل البلاد والى ان عمال الاحتلال هم قوم من ذلك الجنس الذي أُلِّف هذا الكتاب ليبان السر في تقدمهِ وسيادتهِ في الوجود . وهم ما داموا في بلادنا يجب علينا ان نقارن بين احوالهم واحوالنا وعاداتهم وعاداتنا ومعارفهم ومعارفنا وهمتهم وهمتنا وحركتهم وحركتنا واقتدارهم واقتدارنا وكفاءتهم وكفاءتنا وحولهم وحولنا وثروتهم وثروتنا . يجب علينا ان نقارن بين هذا كلهِ وبين ذلك كلهِ لاننا مضطرون الى معاشرتهم ومعاملتهم والاحتكاك معهم في جميع امورنا حتى اذا صح نظرنا عرفنا الامر على حقيقتهِ وتشبعت نفوسنا بما هو واقع لا بما تخيلهُ من غير تبصر وبصيرة اهتدينا الى واجبنا القومي وعلمنا ان كان مجرد القول يجدينا نفعًا وهل الاجدر بنا دوام الاشتغال مع الاماني التي لا مرجع لها من عملنا وكدنا ام اطالة التفكير في الحوادث التي تجري علينا لتميز الصالح لنا من الضار بنا ولنقصد باب النجاة فندخل منهُ ولا نبتغي عنهُ من ذلك الخيال بديلاً

غرضي من ترجمة هذا الكتاب ان يكون مرآة يرى القراء فيها امتين عظيمتين ودولتين غيستين تتنازعان اقسام الوجود قد سبقت احداها الاخرى فلما رأت هذه تأخرها جعلت تفكر في اسباب تلك الافضلية وقام العقلاء فيها وارباب الاقلام يخبرونها باسباب ضعفها ويرشدونها الى سبل الاصلاح فلم تنفر من هذا النداء بل اجابت الدعوة شاكرة مرشديها وثارت مذعورة في طلب الكمال والتشبه بحارتها . واخلق بنا ان نتعظ باعظم منا ونتمثل بين ينا وبينهُ في العلم والتهذيب والقوة والسلطان والهمة والاقدام ما بين الارض والسماء . ثم نأسف على زمن قضيناهُ في التمني ونفض عنا غبار الاوهام ونلتمس اصلاح شؤوننا باننفسنا ولا

نحج عن سلوك طريق آنكد والعمل فهو الذي فيه الحياة ودونه الموت الصحيح "

هذا هو انتبر المسبوك والدر النظيم هذه ثمار علم المترجم وعقله الراجح وذوقه السليم. هذه درر من الكتابين نزين بها المقتطف ونحكم نظمها الى ما ننشرهُ فيه من اقوال رجال العلم واساطين الفلسفة . اما الكتاب نفسهُ فسنذكرهُ في باب التقاريظ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن مبرأة منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونتراضى في الادراج وعدمهِ بما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المعادلة

الذكر والانثى

حضرة استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف

اطَّلعت في الجزء الثالث والعشرين من مجلة المقتطف على رد حضرة الفاضل الدكتور اسمعيل رشدي فشكرتهُ على اهتمامهِ بهذا الموضوع وتوجيه الانظار اليهِ والتمس ان تكرموا بادراج السطور التالية دفعاً لما اعترض بهِ حضرتهُ واجابةً لما اقترحهُ عليَّ من اظهار دوافي

قال في النظرية الاولى من اعتراضهِ " ان ماء الرجل ليس الاَّ واسطة للتلقيح فاذا قوي او ضعف لا يزيد ولا ينقص عن تركيبهِ العنصري ". فاجيب ليس من الضروري ان يتغير تركيبهُ عنصرياً حتى يتغير الجنين من الذكورة الى الانوثة او من الانوثة الى الذكورة بل يكفي ان يتغير في الكيف كما ان الفرق بين الذكر والانثى ليس عنصرياً بل كيفياً

وقال في الثانية " سواء كثر السائل او قلَّ فلا دخل لهُ في نوعية النسل " اقول هذا صحيح من وجه وانا لا اريد بتقوية السائل تكثير مقدارهِ بل تقوية جراثيمهِ حتى ان ما يدخل منها في تلقيح البيضة يكون اقوى من البيضة نفسها فاذا وجد دواء يقوي جراثيم السائل ولا يزيد كميتهُ حصلت الغاية المطلوبة